

# تَلْمَذَة

{الحلقة ١ - تعليم ١}

التلميذ يتعلم أن يعرف الله

قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ دَرَسَنَا هَذِهِ، أَرْجُو أَنْ تُغْمِضَ عَيْنَيْكَ مَعِيَ الْآنَ وَأَنْ تَرْفَعَ قَلْبَكَ  
بِالصَّلَاةِ لِكِي يَسْتَعِدِّمَ اللهُ هَذَا الْوَقْتَ لِبنَائِكَ وَفَانْدَتِكَ وَتَشْجِيعِكَ:

"نشكرك أيها الأب السماوي لأنك منحتنا هذا الوقت الثمين لكي نعرفك أكثر  
فأكثر ولكي ننضج في إيماننا في شخصك المبارك. نصلي يا رب لكي تبارك  
مستمعينا وتُعطيهم فهمًا وتركيزًا، وتُعطيهم القوة اللازمة لكي يكرسوا حياتهم  
لكَ وَيَخْدِمُوكَ بِكُلِّ قَلُوبِهِمْ. اجعل هذا البرنامج سبب تشجيع وبركة لكل  
مُستَمِعٍ، واستخدمنا جميعًا لمجد اسمك. باسم يسوع المسيح. نصلي آمين".

قال القديس أوغسطينوس: "لقد أوجد الله في قلب الإنسان فراغًا لا يمكن لأحدٍ سواه أن  
يملأه!" فكل إنسان يولد على هذه الأرض يعاني من هذا الفراغ في قلبه. وهذا أحياناً يدفعنا  
للتساؤل: "من أنا؟ ... ومن أين أتيت؟ ... وما هو الهدف من وجودي على هذه الأرض؟ ...  
وإلى أين سأذهب بعد موتي؟ ... ومن يهتم بي؟"

وهكذا، فإن الإنسان بطبيعته يتوق إلى خالقه، ويبحث عن هدفٍ يحيا لأجله، ويتوق إلى  
مُستَقْبَلٍ مُفَعَّمٍ بِالرَّجَاءِ. لكن للأسف الشديد أن الإنسان ضلَّ طريقه أثناء بحثه عن الله فبقي الفراغُ  
في قلبه كما هو.

فكيف يمكننا أن نعرف الله الذي خلقنا وأحبنا، والذي يهتم لأمرنا، والذي يريد أن يعطينا  
حياةً مُفَعَّمَةً بِالرَّجَاءِ؟ نعم، كيف يمكننا أن نعرف الله؟ يُخبرنا الكتاب المقدس أن الله يُعلن عن  
نفسه للإنسان بخمس طرقٍ رئيسية:

**أولاً: الله يعلن عن نفسه لنا من خلال خليقته.** يقول داود النبي في المزمور ١٩: ١  
"السَّمَاوَاتُ تَحَدَّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" كما ونقرأه في سفر إشعياء ٤٠: ٢٥-  
٢٦ عندما قال الله "فَبِمَنْ تَشَبَّهُونِي فَأَسَاوِيهِ يَقُولُ الْقُدُّوسُ؟ اِرْفَعُوا إِلَى الْعَلَاءِ عِيُونَكُمْ وَأَنْظُرُوا،  
مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنْ الَّذِي يُخْرِجُ بَعْدَ جُنْدِهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكُوْنِهِ شَدِيدِ الْقُدْرَةِ  
لَا يُفْقَدُ أَحَدًا".

لاحظ ما يقوله الله هنا. فهو يتحدى الإنسان بأن يحاول أن يستوعب عظمته وقدرته!  
وحيث أن الإنسان لا يعرف أي شيء كبير لكي يقارنه بالله، فإن الله يدعو للتأمل في الكواكب  
والنجوم. فهل تعرف عدد النجوم في السماء؟ إذا نظرنا بعينينا المجردة إلى السماء في ليلة  
صافية، فيمكننا أن نرى حوالي ألفي (٢٠٠٠) نجم. لكن غالبية هذه النجوم هي من مجرتنا التي  
تسمى "درب التبانة" (أو "درب اللبانة" كما يدعوها البعض) والتي تحتوي على نحو مئة ألف  
مليون (١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) نجم!

وأنت إذا نظرت إلى السماء بأكثر تلسكوب صنعته الإنسان فيمكنك أن ترى أكثر من ألف  
مليون مجرة. ويمكنك أن تتخيل أن كل مجرة من هذه المجرات تحتوي على ملايين النجوم  
أيضاً. والله يقول هنا إنه خلق كل نجم من هذه النجوم وأنه يعرفها بأسمائها! فإن كان الإنسان  
عاجزاً عن استيعاب أعداد هذه النجوم، فكيف يمكنه أن يستوعب خالق هذه النجوم!

كذلك، هل تعرف مقدار بُعد النجوم عن الأرض؟ النجم الوحيد في نظامنا الشمسي هو  
الشمس، وهي تبعد مئة وخمسين مليون كيلومتر عن الأرض! ولتبسيط هذه الحقيقة نقول إنه لو  
كان بإمكاننا أن نذهب في رحلة إلى الشمس بطائرة حديثة تطير بسرعة ألف كيلومتر في  
الساعة، فسوف تستغرق رحلتنا سبع عشرة (١٧) سنة! أما أقصى النجوم فتبعد عنا ملايين  
السنين الضوئية. والله يقول للإنسان إنه وضع كل نجم في موضعه وأنه لا يفقد واحداً منها لأنه  
يسيطر عليها جميعاً. فإن كان الإنسان عاجزاً عن استيعاب المسافة بين النجوم، فكيف يمكنه أن  
يستوعب خالقها؟

وماذا عن حجم النجوم والكواكب؟ يبلغ قطر الأرض نحو ١٣ ألف كيلو متراً. كما أن  
قطر الشمس أكبر من قطر الأرض بـ ١٠٩ مرات. أما أكبر النجوم فقطر أكبر من قطر

الشَّمْسِ بِأَلْفِ مَرَّةٍ! فَهَنَّاكَ نُجُومٌ هَائِلَةٌ الْحَجْمِ بِحَيْثُ يُمَكِّنُ لِلشَّمْسِ وَعُطَارِدِ وَالزُّهُرَةِ وَالْأَرْضِ  
وَالْمَرِيخِ أَنْ تَدُورَ فِي فَلَكِهَا بَحْرِيَّةً تَامَّةً! وَاللَّهُ يَقُولُ لِلإِنْسَانِ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ  
وَالكُوكَبِ الضَّخْمَةَ. فَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ عَاجِزًا عَنِ اسْتِيعَابِ أَحْجَامِ الكُوكَبِ وَالنُّجُومِ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُهُ  
أَنْ يَسْتَوْعِبَ خَالِقَهَا؟

إِذَا، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى اللَّهِ الْخَالِقِ مِنْ خِلَالِ خَلِيقَتِهِ رُغْمَ أَنَّهَا لَا نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا.  
وَلِتَوْضِيحِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ سَوْفَ نَضْرِبُ مَثَلًا بَسِيطًا، فَالسَّاعَةُ الَّتِي تَضَعُهَا فِي يَدِكَ. رُغْمَ أَنَّكَ تَرَاهَا  
الْآنَ، وَلَا تَرَى صَانِعَهَا، لَكِنَّكَ تَعْرِفُ يَقِينًا أَنَّ شَخْصًا مَا قَامَ بِصِنَاعَتِهَا. وَهَكَذَا، رُغْمَ أَنَّهَا لَا  
نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى اللَّهَ بِعُيُونِنَا الطَّبِيعِيَّةِ، إِلَّا أَنَّنَا نَعْرِفُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ مِنْ خِلَالِ خَلِيقَتِهِ. فَالْحَقِيقَةُ  
تُخْبِرُنَا عَنِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَرَوْعَةِ الْعَمَلِ الَّذِي قَامَ بِهِ عِنْدَ خَلْقِ الْكُونِ.

**ثَانِيًا: اللَّهُ يُعَلِّنُ عَنِ نَفْسِهِ لَنَا مِنْ خِلَالِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.** يقول الرب يسوع في إنجيل  
متى ٢٤ : ٣٥ "السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ".

فَهُوَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُوَكِّدُ أَنَّ هَذَا الْكُونَ الْمَخْلُوقَ سَيَزُولُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، لَكِنَّ كَلَامَ اللَّهِ  
الْمُدَوَّنَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لَا يَزُولُ أَبَدًا. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ مُهِمٌّ جِدًّا لِحَيَاتِنَا. وَمِنْ  
الْمُهِّمِّ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ شَخْصًا كَتَبُوا الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، مِنْهُمْ: النَّبِيُّ، وَالْمَلِكُ،  
وَالْقَاضِي، وَالْحَاكِمُ، وَالكَاهِنُ، وَالشَّاعِرُ، وَالْفِيلَسُوفُ، وَالْفَلَّاحُ، وَرَاعِي الْغَنَمِ، وَالصَّيَّادُ، وَجَابِي  
الضَّرَائِبِ، وَالطَّبِيبُ، وَالْمُعَلِّمُ الدِّينِيَّ، وَغَيْرُهُمْ. فَرُوحُ اللَّهِ أَوْحَى إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ  
الْأَشْخَاصِ أَنْ يَكْتُبَ شَيْئًا مَا عَنِ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ. وَمِنْ الْمُدْهِشِ حَقًّا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَاشُوا فِي أَرْبَعِ  
وَأَمْكَنَةِ مُخْتَلِفَةٍ، وَفِي تَقَافَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. فَقَدْ عَاشَ هَؤُلَاءِ مَا بَيْنَ سَنَةِ  
١٥٠٠ قَبْلَ الْمِيلَادِ وَسَنَةِ ١٠٠ بَعْدَ الْمِيلَادِ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أَسْفَارَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كُتِبَتْ عَلَى مَدَى  
١٦٠٠ سَنَةٍ دُونَ أَنْ يُوَثَّرَ ذَلِكَ سَلْبِيًّا عَلَى وَحْدَتِ الْكِتَابِ وَانْسِجَامِهِ.

رُبَّمَا تَتَسَاءَلُ هُنَا، كَيْفَ يُمَكِّنُ لِأَشْخَاصٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمُ الْآخَرَ، وَلِأَشْخَاصٍ عَاشُوا فِي  
أَرْبَعِ أَمْكَنَةِ مُخْتَلِفَةٍ أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا وَاحِدًا مُنْسَجِمًا كَالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ؟ هَذَا سُؤَالٌ بَالِغُ الْأَهْمِيَّةِ لِأَنَّهُ  
يُرِينَا أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَأْلِيفِ بَشَرٍ. فَرُوحُ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَوْحَى لَهُؤُلَاءِ  
الْأَشْخَاصِ الْمُخْتَلِفِينَ بِأَنْ يَكْتُبُوا عَنِ نَفْسِ الْإِلَهِ وَأَنْ يَقُومُوا بِتَوْصِيلِ نَفْسِ الرِّسَالَةِ. وَعِنْدَمَا اكْتَمَلَ

الوحي، تمَّ جَمْعُ هَذِهِ الْأَسْفَارِ (وَعَدَّهَا سِتَّةً وَسِتُّونَ سِفْرًا) فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ أَلَا وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الَّذِي بَيَّنَّ أَيْدِينَا الْآنَ. وَهَكَذَا، مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِنَا لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعْرِفَ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْحَيَّ الَّذِي هُوَ الْكَاتِبُ الْحَقِيقِيُّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ بَدَايَةِ الْكَوْنِ الْمَادِيَّ، وَبَدَايَةِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ، وَبَدَايَةِ إِعْلَانِ اللَّهِ عَنْ مَشِيئَتِهِ لِلْإِنْسَانِ. كَمَا أَنَّهُ يُخْبِرُنَا عَنْ كَيْفِيَّةِ دُخُولِ الْخَطِيئَةِ إِلَى الْعَالَمِ، وَعَنْ خِطَّةِ الْخَلَاصِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ لِفِدَاءِ الْإِنْسَانِ مِنْ دَيْنُونَةِ الْخَطِيئَةِ. مِنْ نَاحِيَّةٍ أُخْرَى فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يُحَدِّثُنَا عَنِ الْقَصْدِ مِنْ وُجُودِنَا كَبَشَرٍ وَيُوكِّدُ لَنَا أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ الْمَنْظُورَ الْيَوْمَ سَيَزُولُ يَوْمًا.

وهكذا، فقد رأينا أن الله يُعلن لنا عن نفسه بعدة طرق: أولاً، من خلال الخليقة؛ ثانياً، من خلال الكتاب المقدس. والآن نأتي إلى الطريقة الثالثة.

**ثالثاً: يُعَلِّنُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ لَنَا مِنْ خِلَالِ شَخْصِ الْمَسِيحِ.** نقرأ عن الله في رسالة تيموثاوس الأولى ٦: ١٦ "... سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنِي مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ ...". كما نقرأ في إنجيل يوحنا ١: ١٨ "اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبْرٌ". ونقرأ أيضاً في رسالة كولوسي ١: ١٥ عَنِ الْمَسِيحِ: "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكِرِّ كُلِّ خَلِيقَةٍ".

نَرَى هُنَا أَنَّ اللَّهَ رُوحٌ وَلَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَرَاهُ بَعِيُونَنَا. لِهَذَا، مَا لَمْ يُعَلِّنِ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ لَنَا، لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ مِمَّا أَنْ يَعْرِفَهُ! كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ قُدُّوسٌ وَلَا يُمَكِّنُنَا - نَحْنُ الْبَشَرُ الْمَلُوثُونَ بِالْخَطِيئَةِ - أَنْ نَدْنُو مِنْهُ. لِهَذَا، مَا لَمْ يَدْنُ اللَّهُ مِنَّا، لَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَتَمَتَّعَ بِعِلَاقَةٍ شَخْصِيَّةٍ مَعَهُ. لَكِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَنْ يَتَجَسَّدَ فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ وَأَنْ يَأْتِيَ إِلَى عَالَمِنَا. وَهَكَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ غَيْرَ الْمَنْظُورِ أَصْبَحَ مَنْظُورًا فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ. كَمَا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ دَنَا مِنَّا فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ وَأَعْطَانَا امْتِيَازًا عَظِيمًا بِأَنْ نَقْتَرِبَ مِنْهُ مِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ. وَهَذَا هُوَ مَا يَجْعَلُ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ مُهِمًّا لِكُلِّ النَّاسِ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ.

وَمِنَ الْمُهَمِّ أَيْضًا أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ تَتَّبَعُوا عَنْ مِيلَادِ الْمَسِيحِ وَآلَمِهِ وَمَوْتِهِ. فِي فِي نَحْوِ سَنَةِ ٧٠٠ قَبْلَ الْمِيلَادِ، تَتَّبَعْنَا النَّبِيَّ مِيخَا بِأَنَّ يَسُوعَ سَيُولَدُ فِي بَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ نَقَرْنَا فِي سِفْرِ

ميخا ٥: ٢: "أَمَا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ الْوَفِ يَهُودَا، فَمِنْكَ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مِنْذُ الْقَدِيمِ، مِنْذُ أَيَّامِ الْأَزْلِ".

وفي نحو سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد، تنبأ النبي داودُ عن مَوْتِ الْمَسِيحِ وَأَنَّهُمْ سَيَتَقَبُونَ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ حَيْثُ نَقَرُوا فِي الْمَزْمُورِ ٢٢: ١٥-١٨: "يَبَسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تَرَابِ الْمَوْتِ تَضَعِي. لِأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلَابٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَارِ اِكْتَنَفْتَنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أَحْصَى كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَفْرَسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَفْتَرِعُونَ".

كما أَنَّ النَّبِيَّ إِسْعِيَاءَ تَنبَأَ عَن سَبَبِ مَوْتِ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ فَقَالَ فِي سِفْرِ إِسْعِيَاءِ ٥٣: ٥: "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبْرِهِ [أَي: بِجِرَاحِهِ] شَفِينَا". كما وَتَنبَأَ النَّبِيُّ دَانِيَالُ أَنَّ الْمَسِيحَ سَيُنشِئُ مَمْلَكَةً تَسْحَقُ كُلَّ الْمَمَالِكِ الْأُخْرَى وَتَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ حَيْثُ نَقَرَا فِي سِفْرِ دَانِيَالِ ٢: ٤٤: "وَفِي أَيَّامِ هَوْلَاءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لَا يَتْرُكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ".

وهنا، رُبَّمَا تَتَسَاءَلُ: "لِمَاذَا كَانَ يَنْبَغِي عَلَى الْمَسِيحِ أَنْ يَمُوتَ؟" وَلَكِي أُجِيبُكَ عَن سؤَالِكَ إِسْمَحْ لِي أَنْ أَحْكِيَ لَكَ الْقِصَّةَ التَّالِيَةَ:

كَانَ هُنَاكَ أَخْوَانٌ يَعِيشَانِ فِي مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ. وَذَاتَ يَوْمٍ، تَعَارَكَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ مَعَ أَحَدِ الْأَشْخَاصِ فَاسْتَلَّ سَكِينًا وَطَعَنَهُ بِهَا فَقَتَلَهُ. وَعِنْدَمَا رَأَى الدَّمَ يُلْطِخُ يَدَيْهِ وَثِيَابَهُ خَافَ جَدًّا وَهَرَبَ إِلَى الْبَيْتِ وَأَخْبَرَ أَخَاهُ بِمَا حَدَثَ.

فَقَالَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ لِأَخِيهِ أَنْ يَخْلَعَ ثِيَابَهُ وَيَغْسِلَ يَدَيْهِ وَيُغَادِرَ الْمَنْزِلَ. بَعْدَ سَاعَاتٍ، حَضَرَ رِجَالُ الشَّرْطَةِ إِلَى الْبَيْتِ فَوَجَدُوا الْأَخَ الْأَكْبَرَ يَرْتَدِي مَلَابِسَ مُضْرَجَةً بِالدَّمِ وَأَدَاةَ الْجَرِيمَةِ عَلَى الطَّائِلَةِ.

وهكذا، تمَّ اعتقالُ الأخ الأكبر حيثُ قُدِّمَ للمحاكمة وأُعدِمَ. بعد سنةٍ مِنْ إعدامِ الأخ البَريءِ، شَعَرَ الأخ الأصغرُ بالذنبِ فَسَلَّمَ نفسه للشرطةِ وأخبرَهُم بالحقيَّةِ. لكنَّ الشرطةَ أخبرتهُ أنه حيثُ أنَّ أخاهُ قد حوِّكَمَ وأُعدِمَ على تلكَ الجريمةِ بدلاً عنه، فلا يُمكنُهُم مُعاقبتهُ على نفسِ الجريمةِ مرَّةً أُخرى. وهكذا، فقد تمَّ إطلاقُ سراحِ الأخ الأصغرِ.

بطريقةٍ مُشابهةٍ، عندما ماتَ المسيحُ على الصليبِ، فهو دَفَعَ أَجرَةَ خطايا جميعِ البَشَرِ لكي يُبرِّرنا أمامَ الله. لهذا فإنَّ كُلَّ مَنْ يُؤمنُ به تُغفَرُ خطاياهُ وَيَبالُ الحِياةُ الأبديةَ. بعبارةٍ أُخرى، حينَ توَمِنُ بالمسيحِ وبما فعَلَهُ لأجلكَ فإنَّ اللهَ يُعلِنُ براءتَكَ على أساسِ نَمِ المسيحِ الذي سَفَكَ على الصليبِ لأجلكَ بديلاً عنكَ.

وهكذا، إذا عَرَفنا المسيحَ فإنَّنا نَعْرِفُ اللهَ. فيسوعُ المسيحُ يُعلِنُ لنا شَخْصيةَ اللهِ وَمَقاصِدَهُ. كما أنَّ يسوعَ هُوَ الطَّرِيقُ الوَحيدُ إلى اللهِ. لهذا فَقَدَ قالَ يسوعُ عَن نَفْسِهِ في إنجيلِ يوحنا ١٤ : ٦ :  
"أنا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لا يَأْتِي أَحَدٌ إلى الآبِ إلاَّ بي".

**رابعاً: اللهُ يُعلِنُ عَن نَفْسِهِ لنا مِنْ خِلالِ قلوبِنا.** نقرأ في رسالةِ رومية ٢ : ١٤-١٥ :  
"لأنَّه الأممُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ، مَتى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ ما هُوَ في النَّامُوسِ، فَهُوَ لَئِنْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمُ نَامُوسٌ لأنْفُسِهِمُ، الَّذِينَ يَظْهَرُونَ عَمَلِ النَّامُوسِ مَكْتُوباً في قُلُوبِهِمُ، شاهِداً أَيْضاً ضَميرُهُمُ وَأَفكارُهُمُ فيما بَيْنَها مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحَنَّجَةً".

كَيْفَ يَعْرِفُ جَمِيعُ النَّاسِ في شَتى بُلدانِ العالَمِ أَنَّ القَتْلَ خَطِيئَةٌ أَوْ جَرِمةٌ، وَأَنَّ السَّرِقَةَ خَطِيئَةٌ أَوْ جَرِمةٌ؟ هَذَا غَيْرُ مُمكِنٍ إلاَّ إذا كانَ المُشْرِعُ نَفْسُهُ (أي: اللهُ) قَدْ كَتَبَ بَعْضَ شَرائِعِهِ الأَخلاقيةَ في قلوبِ البَشَرِ جَمِيعاً. وهكذا، إذا أصغى الإنسانُ إلى تلكَ الشرائعِ الأَخلاقيةِ المَكْتُوبةِ في قَلْبِهِ، فَقَلْبُهُ (أو ضميرُهُ) سَيكونُ دليله أنه يُوجَدُ إلهٌ يُحِبُّ الخَيْرَ وَيُبغِضُ الشرَّ.

فإن كُنَّا نَصْغِي إلى صَوْتِ قلوبِنا وَضَمائِرِنا، يُمكنُنا أَنْ نَعْرِفَ اللهَ الذي يُعلِّمُنا الفَرْقَ بَيْنَ الصَّوابِ وَالخَطَأِ. فَقَلْبُ الإنسانِ يَكشِفُ لَهُ عَن بَعْضِ الشَّرائِعِ الأَخلاقيةِ التي وَضَعها اللهُ.

**خامساً وأخيراً، الله يُعلنُ عن نفسه لنا من خلال حياة المؤمنين الآخرين.** فنحن نقرأ في رسالة تيموثاوس الأولى ١: ١٥-١٦: "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قَبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا. لَكِنِّي لِهَذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهِرَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِيَّ أَنَا أَوْلَا كُلِّ أَنَاةٍ، مِثَالًا لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ".

يقولُ الرَّسُولُ بولسُ هُنَا إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ. وَرُغْمَ أَنَّ الرَّسُولَ بولسَ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَعْظَمِ أَبْطَالِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ فِي كُلِّ الْعُصُورِ، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ عَن نَفْسِهِ إِنَّهُ أَوْلُ الْخُطَاةِ بِدَافِعِ التَّوَاضُعِ وَمِنْ مُنْطَلَقِ إِيْمَانِهِ الرَّاسِخِ بِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ خُطَاةٌ وَيَسْتَحِقُونَ الْمَوْتَ.

كَانَ الرَّسُولُ بولسُ يُدْعَى "شَاوُلَ" قَبْلَ اهْتِدَائِهِ لِلْمَسِيحِ. وَكَانَ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسِيحِيِّينَ فِي بَدَايَةِ انْتِشَارِ الْمَسِيحِيَّةِ. لَكِنَّ الْمَسِيحَ التَّقَى بِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَغَيَّرَ قَلْبَهُ وَحَيَاتَهُ. وَغَفَرَ خَطَايَاهُ، وَخَلَّصَهُ، وَأَعْطَاهُ حَيَاةً جَدِيدَةً. لِهَذَا فَهُوَ يَشْهَدُ هُنَا أَنَّ اللَّهَ خَلَّصَهُ وَأَرَادَهُ أَنْ يَكُونَ قُدْوَةً لِلْآخَرِينَ.

وَمَا أَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسِيحِيِّينَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَغَيَّرَتْ بِهَا حَيَاتُهُمْ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِالْمَسِيحِ. فَوَرَاءَ كُلِّ مُؤْمِنٍ حَقِيقِيٍّ إِلَهٍ حَقِيقِيٍّ عَمِلَ عَلَى تَغْيِيرِهِ وَمَا زَالَ يَعْمَلُ. لِهَذَا، عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الْحَقِيقِيِّينَ وَنَسْتَمِعُ إِلَى شَهَادَاتِهِمْ فَإِنَّا نَتَعَرَّفُ بِصُورَةٍ أَعْمَقَ عَلَى اللَّهِ الْحَقِيقِيِّ الْقَادِرِ عَلَى تَغْيِيرِ حَيَاةِ الْبَشَرِ.

كَانَ هَذَا أَوَّلَ دَرَسٍ مِنْ بَرْنَامَجِ "تَلْمِذَةٌ". تَحَدَّثْنَا فِيهَا عَنِ ضَرُورَةِ أَنْ يَتَعَرَّفَ التَّلْمِيزُ عَلَى سَيِّدِهِ. فَيَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى خَالِقِهِ وَأَنْ يُعَمِّقَ عِلَاقَتَهُ بِهِ يَوْمًا تَلُو الْآخَرَ.

وَلَكِي تَعْرِفَ اللَّهَ عَلَى نَحْوِ أَفْضَلٍ وَبِصُورَةٍ أَعْمَقَ، اِبْدَأْ بِمُلاحَظَةِ عَمَلِ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ، وَوَاطِبْ عَلَى قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَالتَّأَمُّلِ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ كُلِّ يَوْمٍ، وَتَأَمَّلْ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَفْحَصَ قَلْبَكَ وَأَنْ يَنْقِي دَوَافِعَكَ لِكِي تَتِمَكَّنَ مِنْ تَمْيِيزِ مَشِيئَةِ اللَّهِ عَنِ مَشِيئَةِ الْعَالَمِ، أَنْصَحُكَ أَنْ تَخْصِصَ وَقْتًا لِدِرَاسَةِ سِيرِ الْقَدِيسِينَ عَلَى مَرِّ تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ لِتَرَى كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ غَيَّرَ حَيَاتَهُمْ وَاسْتَخْدَمَهُمْ لِمَجْدِ اسْمِهِ.

وفي الختام نرجو أن تكونوا قد تباركتم وتشجعتم بما إستمعتموه في هذه الدرس. وسلام  
الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع.